حكايات من قادسية صدام حكايات
ية صدام حكايات من قادسية صدام
من قادسية صدام حكايات من قادسي
حكايات من قادسية صدام حكايات
ية صدام حكايات من قادسية صدام

حكايات من قادسية صدام حكايات

٩





الــدرّاجــة

دار ثقافة الاطفال

مسح ضوئي

د.نزار حبيب عباس

٢٠١٣م

اعداد الكتروني

احمد هاشم الزبيدي

٢٠١٦م

مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل

قادسية صدام قادسية العرب الجديدة
قادسية صدام قادسية العرب الجديدة
قادسية صدام قادسية العرب الجديدة
قادسية صدام قادسية العرب الجديدة
قادسية صدام قادسية العرب الجديدة

الجمهورية العراقية – وزارة الثقافة والاعلام – دار ثقافة الاطفال – مكتبة الطفل

الناشر : دار ثقافة الاطفال – ص . ب ١٤١٧٦ بغداد

ثمن النسخة داخل العراق ١٠٠ فلساً عراقياً
وخارج العراق ١٥٠ فلساً عراقياً أو ما يعادلها



مكتبة الطفل
دار ثقافة الاطفال
وزارة الثقافة والاعلام
الجمهورية العراقية

ادب الحرب المصور للاطفال

حكايات من الحرب العراقية الايرانية
(١٩٨٠ - ١٩٨٨) م

قادسية صدام

٩

رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد
[illegible]

الـــــدرّاجـــة



تـالـيـف : عبد الإله رءوف
رســـــوم : نـشــأت الآلوسي
الاخراج الفني: شــريف الــراس
مسح ضوئي : د.نزار حبيب عباس
اعداد الكتروني : احمد هاشم الزبيدي
٢٠١٦م

تنويه /

تم اعداد هذا الكتاب عن نسخة ارشيفية شخصية للاخ والاستاذ العزيز (د.نزار حبيب عباس) ... تفضل مشكورا بارسالها الينا لنشرها وعشرات الاصدارات النادرة لدار ثقافة الاطفال العراقية .. لغرض التوثيق والنشر الالكتروني في الانترنيت ... ((الفيسبوك وموقع عرب كوميكس الالكتروني)) فكل الشكر والتقدير له ولامثاله الرائعين ولكل من دعمنا وشجعنا لاكمال وارشفة المطبوعات والكتب النادرة .... متمنيا له الموفقية وديمومة العطاء والنجاح .... مع خالص التقدير ..

احمد هاشم الزبيدي
٢٠١٦م



كانَ الحاجُّ سلمانُ حائراً بينَ الذَّهابِ إلى المقهاةِ أو إلى بيتِ شقيقتِهِ فاطمة . وأخيراً ذهبَ إلى بيتِ شقيقتِهِ وهو يقُولُ لنفسِهِ :

ـ لا شكَّ في أنَّها تُعاني الآنَ مِنَ الوَحدةِ ، وابنُها (علاء) لا يزالُ صغيراً .

وهكذا ما كادَ الحاجُّ سلمانُ يضعُ قدَمَيهِ على عتَبَةِ بيتِ شقيقتِهِ حتَّى قالَ في نفسِهِ برضىً كامل :

ـ إنَّ ما فعلتُهُ هو الصَّوابُ نفسُهُ . ولْتذهبِ المقهاةُ بِمَنْ فيها إلى الجحيم .

وفي هذهِ اللَّحظةِ امتدَّتْ يدُ الحاجِّ سلمانَ ودقَّتِ الجرَسَ .



ـ أهلاً خالي .

قالَها صبيٌّ صغيرٌ في الحاديةَ عشرةَ من عمرِهِ ، وهو يفتحُ البابَ على مصراعيهِ .

قالَ الحاجُّ سلمانُ بهدوءٍ وبابتسامةٍ عذبةٍ على شفتيهِ :

ـ أهلاً (علاء) .. أأمُّكَ موجُودة ؟

قالَ (علاء) وهو يُفسِحُ الطَّريقَ للحاجِّ :

ـ موجودةٌ يا خالي . إنَّها في الصَّالةِ تَخيطُ شيئاً مِنَ الملابسِ .

وتَنحنحَ الحاجُّ سلمانُ وهو يدخلُ البيتَ كعادةِ العراقيِّينَ عِندما يدخلونَ البيوتَ لكي يُعلنوا عن وجودِهم . ونَهضتِ الأُمُّ تاركةً ماكنةَ خياطتِها لتُرحِّبَ بمقدمِ شقيقِها الكبيرِ قائلةً :



ـ أهلاً بكَ يا أبا أحمد . لمْ نَرَكُمْ مُنذُ زَمنٍ طويلٍ . كيفَ حالُكَ ؟ وحالُ الأهلِ ؟

جلسَ الخالُ على الأريكةِ ليخفِّفَ بعضاً مِنَ التَّعبِ البادي على وجهِهِ وقالَ وهو ينقُلُ بصرَهُ بينَ شقيقتِهِ وابنِها الصغيرِ :

ـ بخيرٍ .. الجميعُ بخيرٍ يا فاطمةُ .. وكيفَ حالُكِ أنتِ و (علاء) ؟

قالتْ أمُّ (علاء) وَهي تبتسِمُ :

ـ الحمدُ للهِ . (علاء) يملأُ البيتَ ولا يجعلُني أشعرُ بشيءٍ مزعجٍ .

وَهُنا ألقى الخالُ نظرةَ إعجابٍ على ابنِ أختِهِ الصَّغيرِ قبلَ أنْ يقولَ :

ـ (علاء) الآنَ رجلٌ ! رَجُلُ البيتِ !

كانَ (علاء) في تلكَ اللَّحظةِ يسمعُ كلَّ ما يدورُ مِنْ حديثٍ بينَ أُمِّهِ وخالِهِ وكانَ الاهتمامُ بادياً على وجهِهِ وكأنَّهُ يتوقَّعُ أنْ يسمعَ شيئاً جديداً يتعلَّقُ بوالدِهِ .

والتفتتِ الأُمُّ شطرَ وحيدِها الصَّغيرِ وهي تقولُ بحنانٍ بالغٍ :

ـ (علاء) إصعدِ الآنَ إلى غرفتِكَ وحاولْ أنْ تُكملَ دراستَكَ . ألَمْ تقُلْ إنَّ لديكَ إمتحاناً في التَّاريخِ ؟

هزَّ علاء رأسَهُ ولم يقلْ كلمةً . ثُمَّ استأذنَ مِنْ خالِهِ مُتمنِّياً لَهُ ليلةً سعيدةً . ثم أخذَ يصعدُ الدَّرجَ حيثُ كانتْ غرفتُهُ في نهايتِهِ . وكانَ (علاء) يشعرُ وهو يصعدُ الدَّرجَ بأنَّ نظراتِ خالِهِ وأمِّهِ لا تفارقُهُ لحظةً حتَّى اختفى في غرفتِهِ .

وعندما تأكَّدَ الخالُ أنَّ (علاء) لا يستطيعُ أنْ يسمعَ ما يدورُ بينَهُما مِن حديثٍ . التفتَ إلى أختِهِ وقالَ لها بما يُشبهُ التَّأنيبَ :

ـ ألا يزالُ (علاء) لا يعرفُ مِنَ الأمرِ شيئاً ؟

حنتِ الأُمُّ رأسَها ساكتةً . فعادَ الخالُ يقولُ بغيظٍ :

ـ لا أزالُ أجهلُكِ يا فاطمةُ ! لماذا فعلتِ ذلكَ ؟ لماذا ؟

قالتِ الأُمُّ وبصرُها يسرحُ في مكانٍ بعيدٍ :

ـ لقد أخبرتُه بأنَّ أباهُ مفقودٌ وقد صدَّقني . وهذا هو المهم .

حاولَ الأخُ أنْ يُطيلَ النِّقاشَ في هذا الموضوعِ عِندما تذكَّرَ عِنادَ شقيقتِهِ وحزنَها .





وقرر أن يبتعد قليلاً عن الموضوع فقال وهو يتأمل في أخته بثوبها الأبيض الناصع :

ـ تركك ارتداء الثوب الأسود كان فكرة ذكية يا فاطمة . وهزت الأخت رأسها وكأنها تحاول أن تستعيد ذكريات قديمة :

ـ كانت فكرته هو . كان يطلب مني أن لا ألبس السواد إذا ما استشهد في الحرب .

ومر صمت قصير . قال الحاج سلمان وهو يتأمل في صورة والد (علاء) بملابسه العسكرية :

ـ كان رجلاً عظيماً . وأنا ما زلت عند رأيي كان يجب أن يعرف (علاء) الحقيقة كاملة . وصدقيني إنه سيكون فخوراً بأبيه الذي استشهد دفاعاً عن الوطن وعن مجد الشعب .

قالت الأخت بارتباك واضح وهي تقترب من الصورة وتنظر إليها وتحاول أن تستمد منها الشجاعة والقوة :

ـ إن ما فعلته هو الصواب يا حاج وأنت تعرف مدى تعلق (علاء) بأبيه . لقد خفت أن يؤثر فيه الأمر بحال من الأحوال . خفت أن يصدمه الأمر لو قلت له فجاة إن أباك قد مات أو استشهد .

قال الخال وهو يحرك مسبحته الطويلة بقلق :

ـ على العموم أنا ما زلت عند رأيي ولست مقتنعاً بما تقولينه يا فاطمة . على كل حال إذا كنت تجدين صعوبة في مصارحته فأنا يمكنني أن أفعل ذلك بنفسي والآن لو أحببت .

وكاد الحاج سلمان ينهض من مكانه لكي ينفذ فكرته عندما رأى في عيون شقيقته الصغيرة رجاء وتوسلاً لا حدود لهما وقالت الشقيقة وهي تمسك بذراعه :

ـ سأخبره بنفسي في الوقت المناسب وليس الآن يا حاج . ليس الآن أرجوك .



وشعر الحاجُّ سلمانُ بحزنٍ شديدٍ وهو يُحسُّ بمعاناةِ شقيقتِه وصبرِها وآلامِها . وحتى رأسهُ مُستسلماً لها .

وفي الغرفةِ الصَّغيرةِ كانَ (علاء) يُحاولُ عبثاً أن يركّزَ ذهنَهُ في أيّ كلمةٍ أو فقرةٍ من فقراتِ كتابِ التَّاريخِ العربيِّ . كانتِ الكلماتُ تختلطُ بالسُّطورِ والسُّطورُ تتحوّلُ إلى مساحاتٍ بيضاءَ في وسطِها كلمةٌ واحدةٌ هي « مفقود » .



وضعَ الكتابَ جانباً وحاولَ أن يتمدّدَ على السَّريرِ على أملِ أن يستطيعَ النَّومَ أو الهربَ من كلِّ تلكَ الأفكارِ التي تتناوبُهُ بينَ لحظةٍ وأخرى . ولكن حتّى النَّومُ أخذَ يستعصي عليهِ وأصبحَ أمراً مستحيلاً . وسألَ نفسَهُ بدهشة :

ـ كلُّ ما أريدُهُ هو النَّومُ . ولكنْ كيفَ ينامُ الأطفالُ الَّذينَ فقدُوا آباءَهم ؟

وتقلّبَ (علاء) على فراشِهِ عدّةَ مرّاتٍ وفي كلِّ مرّةٍ كانَ يظنُّ أنّهُ بتلكَ الطّريقةِ وليسَ غيرِها يمكنُهُ النَّومُ . وبعدَ أن خابَ في كلِّ ذلكَ قالَ في نفسِهِ بأسى :

ـ لا فائدة !

وبحركةٍ يائسةٍ عادَ ليُمسكَ كتابَ التَّاريخِ من جديدٍ لعلّهُ يجدُ فيهِ مهرباً . وبدأ يقرأُ بضعَ كلماتٍ من هُنا ومنْ هُناكَ ثمَّ اكتشفَ أنّها بدونِ رابطةٍ وأدركَ أنّهُ لا يمكنُ من أنْ يفهمَ شيئاً . أيَّ شيءٍ وذهنُهُ مُشتّت .

وضعَ الكتابَ جانباً وأخذَ يُحملقُ في سقفِ الغرفةِ ولاحظَ أنَّ في زاويةِ السَّقفِ عنكبوتاً صغيراً يحاولُ عبثاً أن ينسجَ لهُ بيتاً . ففي كلِّ مرّةٍ كانتِ الخيوطُ الّتي ينسجُها تتقطّعُ ويُعيدُ نسجَها من جديدٍ . وقفَ (علاء) مدهوشاً من صبرِ العنكبوتِ وجهادِهِ المتواصلِ في البناءِ . وقالَ لنفسِهِ :

ـ لا شكَّ في أنَّ هذا العنكبوتَ محظوظٌ جدّاً أو رُبّما لم يفقدْ أباهُ مثلي ..

ودُهِشَ (علاء) كثيراً لأنّهُ لم يبكِ حتّى تلكَ اللّحظةِ ولم يُفكّرْ في البكاءِ . على الرغمِ من أنّهُ كانت في نفسِهِ حاجةٌ لكي يفعلَ ذلكَ ولو مرّةً واحدة .

فتحَ (علاء) كتابَ التَّاريخِ وقلّبَ صفحاتِهِ عدّةَ مرّاتٍ . وأخيراً توقّفَ أمامَ صورةٍ تخطيطيّةٍ للقائدِ العربيِّ المشهورِ (سعد بن أبي وقّاص) . وأخذَ (علاء) يتأمّلُ





في الصُّورةِ باهتمامٍ شديدٍ مُحاولاً أنْ يجدَ بعضَ الشَّبهِ بينَ ملامحِ والدِهِ وصورةِ البطلِ الخالدِ . وكانَ (علاء) قد اكتشفَ بعدَ دقائقَ منَ التَّأمُّلِ العميقِ أنَّ الاختلافَ بينَ الاثنينِ كانَ كبيراً جدّاً . وهمسَ (علاء) معزّياً نفسه :

ـ على كلِّ حالٍ فإنَّهما مُتشابهانِ في نظري . فكلاهُما بطلٌ عظيمٌ .

وفي هذهِ اللَّحظةِ انهمرت منْ عينَي (علاء) دموعٌ . انهمرتْ لأوَّلِ مرَّةٍ بدونِ أيَّةِ مُقاومةٍ وها هوَ (علاء) يستسلمُ أخيراً للَحظاتٍ منَ الرَّاحةِ استطاعت هذهِ القطراتُ منَ الدُّموعِ أنْ تمنحَها . وبوجهٍ مُبلَّلٍ رفعَ (علاء) رأسَهُ نحوَ السَّقفِ ليجدَ أنَّ العنكبوتَ قد أكملَ بناءَ بيتِهِ ولكنَّهُ هو نفسُهُ قد اختفى . أينَ ؟ لا أحدَ يدري وأخذتْ عيناهُ تبحثانِ بغيرِ أملٍ . وبكى (علاء) مرَّةً أخرى وبكى بدموعٍ ساخنةٍ ألهبتْ كلَّ أحزانِهِ الصَّغيرةِ .

وتذكَّرَ (علاء) منْ خلالِ دموعِهِ الحارَّةِ كيفَ حاولَ قبلَ أيامٍ أنْ يجدَ أباهُ بينَ جماعةٍ منَ الجنودِ والمقاتلينَ . فقدْ كانَ في حينِها يراقبُ (التلفزيون) وهو يعرضُ مشاهدَ منَ المعركةِ . فأخذَ (علاء) يقتربُ منَ الشَّاشةِ وكلُّهُ أملٌ في أنْ يرى والدَهُ أو يلمحَهُ . وكادَ (علاء) يدخُلُ في الجهازِ نفسِهِ لولا صُراخُ أمِّهِ مُحذِّرةً وحينذاكَ أدركَ أنَّهُ قدْ تمادى فتوقَّفَ عنِ الحركةِ والتفتَ إلى والدتِهِ ليقولَ لها بصوتٍ حزينٍ :

ـ أبي سيعودُ . أليسَ كذلكَ ؟

قالتِ الأمُّ وهي تُحاولُ الهربَ منْ نظراتِ ابنِها :

ـ بالتَّأكيدِ (يا علاء) .

قالَ (علاء) بثقةٍ كبيرةٍ :

ـ وهلْ يشتري لي درَّاجةً هوائيَّةً كما وعدَني ؟

قالتِ الأمُّ وهي تحاولُ أنْ تُشغِلَ نفسَها بنسجِ الصُّوفِ :

ـ نعم يا (علاء) سوفَ يشتري لكَ درَّاجةً جميلةً .

وقالَ (علاء) وكأنَّهُ لا يُصدِّقُ منْ شدَّةِ الفرحِ :

ـ وأستطيعُ أنْ أزيِّنَها بالأعلامِ وصُورِ السَّيِّدِ الرَّئيسِ وصُورةِ بابا أيضاً ؟



قالتِ الأُمُّ وحركةُ نسجِها تزدادُ بسرعةٍ :

ـ بدونِ شكٍّ بدونِ شكٍّ .

وجلسَ (علاء) على الأرضِ وهو يتخيَّلُ درَّاجتهُ الجديدةَ . ويتخيَّلُ أصدقاءه وهم يرمُقونها بإعجابٍ كبيرٍ . ويسمعُهم وهمْ يتهامسُونَ حولَها فيقولُ أحدُهُم :

ـ إنَّ درَّاجةَ (علاء) لا مثيلَ لها في العالَمِ . إنَّ بإمكانِها أنْ تطيرَ مثلَ الصَّاروخِ .

ويقولُ الثَّاني مُنفعِلاً :

ـ لقد سمعتُ بأنَّها تستطيعُ السَّيرَ على سطحِ الماءِ مثلَ الحوَّاماتِ . بينما يقولُ الثَّالثُ وهو يضربُ كفّاً بكفٍّ :

ـ كلُّ هذهِ الأمورِ تهونُ ولكنَّ الذي سمعْتُهُ أنَّ بإمكانِها أنْ تقفزَ فوقَ المواضعِ مثلما يفعلُ الحصانُ هكذا .

وأخذَ الأخيرُ يُقلِّدُ طريقةَ الحصانِ في القفْزِ ويُقارِنُها بدرَّاجةِ (علاء) ويبتسمُ (علاء) وهُو يتذكَّرُ كيفَ أنَّ صديقَهُ البدينَ سميراً يقفزُ ويُقلِّدُ حركاتِ الحصانِ .

ومطَّ (علاء) شفتيهِ ساخراً فقد كانَ وحدَهُ يعرفُ أسرارَ درَّاجتِهِ الجديدةِ . أمَّا الآخرونَ فلا يعرفونَ غيرَ أوهامِهِم .





مضى وقتٌ طويلٌ ولا شكَّ و (علاء) لا يزالُ سارحاً بأفكارِهِ ومشغولَ الذِّهنِ بدرَّاجتِهِ الجديدةِ . إلى درجةٍ لم يُدرِكْ بها أنَّهُ قد استسلَمَ في نهايةِ الأمرِ إلى نومٍ عميقٍ جداً . وقد قادَهُ هذا النَّومُ إلى عالمٍ عجيبٍ منَ الأحلامِ الغريبةِ الَّتي لا يُمكنُ منْ أنْ تُصدَّقَ . فقدْ رأى نفسَهُ فجأةً راكباً على درَّاجتِهِ الجديدةِ يطيرُ بها في السَّحابِ فخوراً مُتباهياً . وإنَّ ضباباً كثيفاً يُحيطُهُ مِن كلِّ جانبٍ ، وهو يشُقُّ طريقَهُ إلى مكانٍ مجهولٍ لا يعرِفُ من أمرِهِ شيئاً . ولكنَّ قدميهِ تُحرِّكانِ (البدال) بغيرِ توقفٍ . وكأنَّهُ على موعدٍ مُهمٍ يُريدُ أن يَصِلَ إليهِ في الوقتِ المحدَّدِ . وأدهشَهُ أكثرَ ذلكَ الصَّمتُ الغامضُ الَّذي كانَ يُثيرُ قلقَهُ على الرَّغمِ مِنْ أنَّ أصواتاً غامضةً مُبهمةً كانتْ تصِلُ إلى أُذُنِهِ ، مُختلطةً بأنغامِ البوقِ الَّذي علَّقهُ في مُقدَّمِ الدَّرَّاجةِ . والأكثرُ غرابةً مِن كُلِّ ذلكَ أنَّ (علاء) لم يكنْ يلتفتُ إلى الخلفِ قطُّ . بل إنَّه يمضي إلى الأمامِ دونَ كللٍ أو تردُّدٍ . وبعدَ مسيرةِ ساعةٍ كاملةٍ أخذَ الضَّبابُ ينقشِعُ فجأةً . وتلاشتِ الغيومُ الكثيفةُ النَّاصعةُ البياضِ . وأحسَّ بقدميهِ تلامسانِ الأرضَ بنعومةٍ بالغةٍ . ونظرَ حولَهُ فوجدَ أنَّ الأرضَ مكسوَّةٌ باللَّونِ الأخضرِ . وأنَّ مرتفعاتٍ وقفتْ هُنا وهُناكَ بغيرِ



انتظام . وأحسَّ بالرَّهبةِ ، ولكنَّ هذا الشُّعورَ سُرعَانَ ما تلاشى عِندما أخذَ يضغطُ بيديهِ فوقَ مِقودِ الدَّرَّاجة وَكَأنَّه يحاولُ أنْ يتشبَّثَ بشيءٍ مِن الأشياءِ ليؤكِّدَ لَهُ أنَّ ما يراهُ حقيقةٌ وواقع .

واكتشفَ (علاء) أنَّ هناكَ أصواتاً وجلبةً في الجانِبِ الآخرِ من التَّلَّةِ العاليةِ . وشعرَ بأنَّهُ مُنقادٌ وبدونِ إرادتِهِ إلى تسلُّقِ تلكَ التَّلَّةِ العاليةِ لاكتشافِ ما يحدُثُ في السَّفحِ الآخرِ منها . وكانَ (علاء) يتسلَّقُ التَّلَّةَ ماشياً على قَدَميهِ وهو يجرُّ درَّاجتَهُ إلى جانِبِهِ بصعُوبةٍ وكادتْ أنفاسُهُ تنقطِعُ عندَما وصلَ إلى القِمَّةِ لاهثاً متعباً . وكانَ التَّعبُ لم يكنْ ليمنَعَهُ مِن رؤيةِ ما كانَ قائماً في الجانِبِ الآخرِ مِنَ التَّلَّةِ . فقدْ شاهدَ (علاء) ، منظراً لا يمكنُهُ مِن أنْ ينساهُ : أعداداً لا حصرَ لها من الدَّبَّاباتِ والمدافعِ والجنود ، وناقلاتِ الجنودِ ورجالٍ بملابسَ مبقَّعةٍ يذهبونَ ويجيئونَ ، وهم يحملُونَ الأسلِحَةَ والعتادَ حينما كانتْ أصواتُ الانفجاراتِ تتوالى هُنا وهُناكَ . وأدركَ (علاء) في الحالِ أنَّ المكانَ ليس إلاَّ جبهةَ قتالٍ حقيقيَّة . وأسرعَ (علاء) ينزِلُ من التَّلَّةِ مُتمسِّكاً بدرَّاجته الجديدة خائفاً مِنْ أنْ تُصيبَها واحدةٌ مِن القذائِفِ الَّتي كانتْ تسقُطُ



هُنا وهُناكَ بغيرِ تمييزٍ . ومرَّ (علاء) بينَ جماعةٍ مِن الجنودِ فلمْ ينتبِهوا إلى وجودِه بينَهم . وعندَها أدركَ (علاء) أنَّ أحداً لا يراهُ في هذا المكانِ ولا يسمَعُهُ . أحسَّ بقلقِهِ يزدادُ أكثرَ وأكثرَ .

وبعدَ أنْ أدركَ (علاء) أنَّ المكانَ الَّذي يمشي فيهِ ليس إلاَّ جبهةَ قتالٍ حقيقيَّة بكلِّ ما فيها مِن تفاصيلَ وأمورٍ لها علاقةٌ بالحربِ والصِّراعِ . شعرَ برهبةٍ كبيرةٍ تملأُ كيانَه الصغيرَ .

وخُيِّلَ (لعلاء) أنَّ بإمكانِهِ أنْ يتحدَّثَ في جمعٍ مِنَ الجنودِ . وقد جرَّبَ ذلكَ وكانَ بغيرِ فائدةٍ ، ورفعَ صوتَهُ عالياً وكانَ بدونِ جدوى أيضاً .

لا شكَّ في أنَّ منظرَ (علاء) وسطَ الجنودِ وهو يسيرُ بدرَّاجتِهِ الهوائيَّةِ كانَ غريباً جدّاً كما لو كانَ منظرُهُ مرئياً بالفعل . إذاً فمِنْ حُسنِ الحظِّ أنه كانَ إنساناً غيرَ منظورٍ بالنِّسبةِ للآخرينَ بأيِّ شكلٍ مِنَ الأشكالِ . وعلى كلِّ حالٍ لم يكنْ أمامَ (علاء) أيُّ حلٍّ آخرَ للمسألةِ غيرَ الاندفاعِ إلى الأمامِ بتأثيرِ قوَّةٍ غامضةٍ وسحريَّةٍ للقاءِ رجلٍ ما أتراهُ والدَهُ أم رجلاً آخرَ . ولم يكنْ باستطاعةِ (علاء) أنْ يتكهَّنَ بالأمرِ

سهولة ... (علاء) ... [illegible]

[illegible]

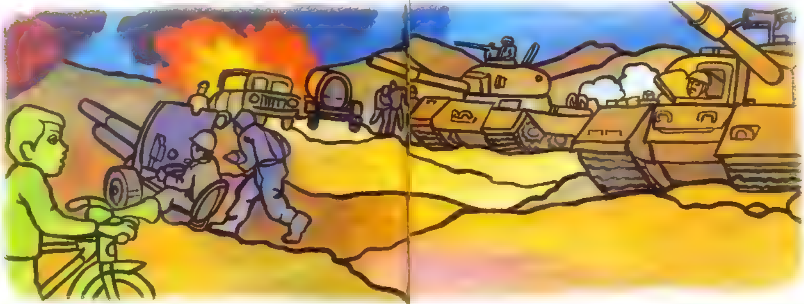
ويمضي (علاء) مشي بين قطعات ... [illegible]

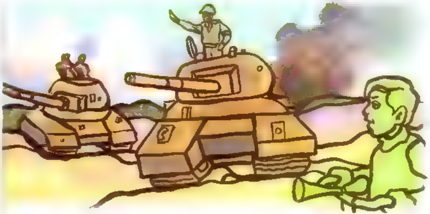
ومواقع الجنود ، ومجارسو قذائفهم التي لم تكنْ تؤديه فقطُ وعى شعبه كلمة واحدة هي ...

[illegible]

- ... : لا يمكنُ أن ينام المرءُ لحظة واحدة في هذا المكان ؟

[illegible]





قربت (علاء) بحذر من الحفرة الخامسة، وهو لا يزال مُمسكاً بدرّاجته جانبه وما إن بدأ يرى ما يوجد في الحفرة حتى شاهد رجلاً بملابس غريبة جداً قد أدار ظهره إلى (علاء) يحاول النوم. وقال (علاء) بقلق ودهشة

ـ من أنت؟!

استدار الرجل غريب الهيئة نحو (علاء)، فكاد (علاء) يصرخ مرتعباً لولا تماسكه وقال مرتبكاً

ـ أنت؟

قال الرجل غريب الهيئة بهدوء

ـ نعم، أنا هو

قال (علاء) بدهشة

ـ أنا لا أصدق؟ هذا شيءٌ مستحيل!

وقف الرجل غريب الهيئة على قدميه ثم قفز بحركة سريعة خارج الحفرة ثم نظر لحظة إلى وجه (علاء) وهو يقول بعجب ودهشة

ـ ولماذا لا تصدّق؟ أصحيحٌ أني أرى (سعد بن أبي وقاص)؟ وكاد (علاء) يسقط مع درّاجته لولا أن أسرع إليه القائدُ لكي يُنقِذهُ ودرّاجتهُ من السّقوط

مرّت لحظاتٌ قصيرةٌ قبل أن يشجع (علاء) نفسه من جديد ووجه عينه ليتحقق من وجهه الصغير و(علاء) يقول

ـ ما زلت لا أُصدّق يا سيدي

قال سعد ضاحكاً

ـ هل في حياتي شابٌ يرفضُ أن يُصدّق ما يراه مثلك

قال (علاء) وهو يبتعدُ قليلاً عن القائد

ـ معذرة يا سيدي إنّما كُتُب التاريخ كلّها تؤكّد أنك مت منذ أكثر من ألف وثلاثمائة وستين عام





قال (سعد) ضاحكا :

ـ وأنتَ تعلمُ (يا علاء) أنَّ كتبَ التاريخِ لا تكذبُ .

قال (علاء) بدهشةٍ :

ـ ماذا تعني يا سيِّدي ؟ .

قال (سعد) وهو ينهضُ متأمّلاً في رهطِ الجنودِ الّذين كانوا يركضون نحوَ مواقعهم :

ـ أعني أنّ [illegible] الله [illegible] مرّةً [illegible]

سكتَ سعد لحظة ثمّ قال وكأنّه تذكّر شيئا

ـ [illegible] في مدرسة كيف [illegible] الآخرين ؟

ولم يجبْ (علاء) بشيءٍ [illegible] رأسه خجلا

قال (سعد) وهو يقتربُ منهُ

ـ ما اسمكَ ؟ ولماذا جئتَ وما تفعلُ هنا ؟ ولكنّي أحذّرُكَ من أنْ تقولَ لي أنّكَ جئتَ إلى هُنا للنّزهة

قال (علاء) وقد عادَ إليه بعضُ الاطمئنان :

ـ إسمي (علاء) وقد جئتُ للبحثِ عن إنسانٍ أحبُّهُ . قلبي يُحدّثني أنّهُ هنا في مكانٍ ما

قال (سعد) بعطفٍ بالغ

ـ على ثقةٍ بأنّكَ ستجدُهُ . وبالمناسبةِ أنا أيضاً أبحثُ عن البلقاءِ . فهل رأيتها ؟

قال (علاء) بدهشة

ـ البلقاء ؟

قال سعد وهو ينظرُ إلى ما حولَهُ باهتمام

ـ ألم تسمعْ بها ؟

وخجل (علاء) أن يقول لا ولكنّه [illegible] (سعد) فابتسمَ قائلا

ـ إنّها فرسٌ عظيمةٌ جدّاً . وإذا رأيتها أدهشتْكَ . هل هلمِ لكَ ؟

أشار (سعد) إلى درّاجة (علاء) . وهزَّ الأخيرُ رأسَهُ واقتربَ (سعد) من الدّرّاجة يتأمّلُها ويفحصُها ثمّ قال

ـ آلةٌ متينةٌ يا (علاء) . أليسَ كذلكَ ؟

قال (علاء) :

ـ بلى يا سيّدي هل تودُّ أن تجرّبها ؟

قالَ (سعد) ضاحِكاً :

ـ كلاّ ليس لأنّ [illegible] ليس لأنّ

سكتَ (سعد) لحظاتٍ ثمّ ألتفتَ نحوَ (علاء) وسألهُ :

ـ لمْ تُخبرني باسمِ أبيكَ .. ماذا قلتَ ما اسمُهُ ؟

قال (علاء) بفخرٍ :

ـ إنّهُ النّقيبُ (عاصم مالك) يا سيّدي . قوّاتٌ خاصّةٌ

قالَ (سعد) وقد تقلّصتْ جبهتهُ قليلا

ـ هل هو قائد [illegible] في [illegible] ؟

وعَرفَ (علاء) لأوّلِ مرّةٍ أنّهُ في مكانٍ يُدعى (الخفاجيّة) لقد سَمِعَ اسمها كثيراً في (التلفزيون) والبلاغاتِ الحربيّة .

وقالَ (سعد) وهو يُشيرُ إلى المكانِ بيده

ـ إنّنا على أطرافِ المدينةِ يا (علاء) تعالَ إلى هذا المرتفعِ وربّما استطعنا أنْ نرى بعضَ معالمِ المدينةِ نفسِها .

وانطلقَ (علاء) مع (سعد) يحاولانِ الصُّعودَ على المرتفعِ وفي أثناءِ صعودِهما كانتْ تسقطُ عدّةُ قذائف ، ويلتقطُ (سعد) واحدةً منها بيدِهِ ثمّ يُعيدُها إلى مصدرِها الفارسيِّ وهو يضحكُ قائلاً :

ـ إنّهم لا يُصيبُونَ الهدفَ أبداً . ولكنْ عليكَ أنْ تَرُدَّ إليهم هذهِ .

وضحِكَ (علاء) قائلاً :

ـ هل تفعلُ هذا دائماً ؟!

قال (سعد) وهو يَفرُكُ كفَّيهِ مِنْ بقايا البارودِ :

ـ لستُ أعملُ مثل هذا إلاّ حينَ أُحِسُّ بالملَلِ والغضبِ .

قلتَ لي إنَّ والدَكَ هو (عاصم) ؟

قال (علاء) وقد استبدَّ بهِ شعورٌ غامرٌ بالفرحِ :

ـ تعرفه ؟!

وبدأ (سعد) يُحاوِلُ أنْ يتذكَّر :

ـ (عاصم) (عاصم) (عاصم) . ليسَ الأسمُ غريباً عليّ (عاصم) .

وهنا يقفزُ (سعد) من جديدٍ ليردَّ قذيفةً أخرى ترحٍ ويعودُ ليقول

ـ أعرِفُ رجلاً يُدعى عاصمَ بنَ عَمْرو التَّميميّ . لقد كانَ واحداً من رجالي الشُّجعان . لقد تذكَّرتُهُ الآنَ وتذكَّرتُ المهمَّاتِ العديدةَ الَّتي نفّذها ... كان وحدَهُ جيشاً بأكمله .

واستدركَ (سعد) عندما لاحظَ الحُزنَ على وجهِ (علاء) :

ـ اطمئنْ يا (علاء) سنجدُ أباكَ بأيِّ طريقةٍ . ولكنْ قلْ لي هل تستطيعُ أنْ تميّزَ صوتَه ؟

هزَّ (علاء) رأسَهُ

ـ نعمْ أستطيع

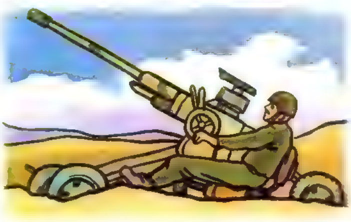
قالَ (سعد) وهو يُشيرُ إلى أرتالٍ مِنَ الدّبّاباتِ والمُدرّعاتِ تَسيرُ في خطٍّ مُستقيمٍ نحوَ موقعٍ مِنَ المواقع .

ـ لذا يجبُ أنْ تفتحَ أُذُنَيكَ وعينيكَ وعقلكَ جيِّداً . إذ لا يستغرقُ الأمرُ أكثرَ مِن لحظاتٍ .

بالمناسبةِ هل تبقى اللّيلةَ هُنا ؟

قال (علاء) :

ـ لستُ واثقاً مِن هذا الأمرِ .



قال (سعد) [illegible]:

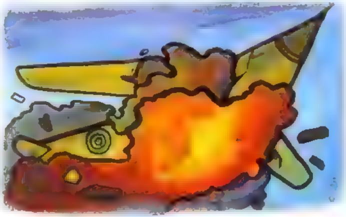
ـ إذا بقيت اللّيلة فسوف أعرّفك على صديق مُدهش اسمهُ (عبد الزهرة) إنّهُ قنّاصٌ ماهرٌ. وبإمكانه أنْ يرمي بالنّار العدوّ ويُصيب الهدف. وهو مُعْجَبٌ [illegible] أكثر من ثلاثين من جنود الأعداء. ولكن [illegible] مرحى؟

قال (علاء) [illegible]

ـ لا أدري يا سيّدي

وأمسك (علاء) بدرّاجته متشبّثاً بها وأحسّ بأنّها الشّيء الوحيد الّذي يشدّهُ [illegible] قفز (سعد) أمام (علاء) [illegible]

ـ [illegible] مرحى!





[illegible] (علاء) [illegible]

[illegible] (علاء) [illegible]

[illegible]

[illegible] (علاء) [illegible] (سعد)

[illegible] (علاء) [illegible]

[illegible] (علاء) [illegible]

[illegible] (علاء) [illegible] (علاء) [illegible]

[illegible] فتلا

ـ ما رأيتَ الآن

قال (علاء)

ـ عماذا ؟!

صاحتْ (سعد) وهو يداعبُ كتفَ (علاء) قائلاً

بالنَّصرِ الَّذي أحرزناهُ ! عشرِ طائراتٍ دُفعةً واحدة !!

ـ إنِّي مسرورٌ فعلاً .

قالها (علاء) بحماسةٍ :

ثم قالَ (سعد) وقد وضعَ يديه خلفَ رأسِهِ :

ـ وسوف تُحدِّثُ أصدقاءكَ عما رأيتَ أليس كذلك ؟

قال (علاء) بعد تفكيرٍ قصير :

نعم : سوفَ أفعل . ولكنْ هل تعتقدُ أنَّهم سيُصدِّقونني ؟

وفجأةً نهض (سعد) مِن مكانِهِ لقد رأى دبَّابةً عراقيَّةً تحترقُ بعدَ أنْ أُصيبتْ بقذيفةٍ .. وقالَ بهلع :

ـ يا إلهي ، الجنودُ ما زالوا في الداخِل .

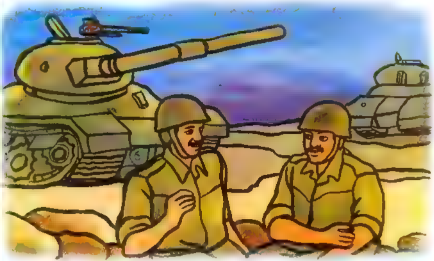
إندفعَ (سعد) إلى الدَّبَّابةِ كأنَّهُ سهمٌ طائرٌ وأخذَ يعالجُ فتحتَها العُلويَّةَ بعد أنْ تعذَّرَ فتحُها مِن الدَّاخلِ بسببِ الحريقِ المفاجيءِ وما هي إلاَّ لحظاتٌ حتَّى كانَ الجنودُ محشورون في داخلها يخرجون تباعاً وجلس إثنان من الناجين بجانب (علاء) دون أنْ يروه

وسمعَ (علاء) الحوارَ الطَّريفَ الَّذي كانَ يدورُ بينَ قائدِ الدَّبَّابة ومساعده فكانَ الأوَّلُ يقولُ للثَّاني :

ـ قُلْ لي بربِّكَ كيفَ استطعتَ أنْ تفتحَ البوَّابةَ في أقلِّ من لحظة ؟

وقال الثَّاني وعرقهُ يكادُ يقطرُ مِن رأسِهِ

صدِّقني لا أدري ولكنِّي أشعرُ أنَّ رجلاً فعل ذلكَ بطريقةٍ أو بأُخرى



فقال الأوَّلُ ساخراً :

ـ أتظنُّهُ عفريتاً أو حبةَ أرق أو معجزة ماذا تظنُّه ؟

سكت الثاني لحظة قصيرة قبل أن يقول

ـ ولا خوف من أن تعتبرني مجنوناً لقلتُ أنه (سعد بن أبي وقاص)

فقال الأوَّلُ غاضباً

حسناً لا داعي للخوف إذن فقد عبرتُكَ مجنوناً فعلاً

وضحك (سعد) وضحك (علاء) أكثر ثمَّ نهض لإنقاذ (وعلاء) ممسكاً بأرجلة يقودهم إلى خنادقهم و (سعد) يتأمَّلهم بين حين وآخر وعندها يقترح على (علاء) أن يركب على أرجلة و يحاول (سعد) أن يقوم حولة ولكنَّه يعجز فيسقط على الأرض ضاحكاً وهو يقول

[illegible] مرتاحة [illegible]

[illegible]

[illegible] لأحتر [illegible]

[illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible] (سعد) [illegible] (علاء) [illegible]

[illegible]

ـ [illegible] لأمكنك [illegible] ؟

[illegible] (علاء) [illegible]

ـ [illegible] ؟

ـ [illegible] شيءٌ [illegible]

وبعد تردّد قصير وافق (علاء) [illegible]

أمامه وحوله باهتمام

[illegible] قال (سعد) [illegible]

ـ ألَمْ ترَ شيئاً بعد ؟

قال (علاء) [illegible]

ـ [illegible]

[illegible]

ـ [illegible] فأنا أطيرُ الآن

[illegible] (علاء) [illegible] بإمكانِ القائدِ أن يطيرَ أيضاً . قال (سعد)

[illegible]

ـ [illegible]

قال (علاء) بسرعة :

ـ الحقُّ معك فهناك معركةٌ ناشبةٌ . هل نذهبُ إليها ؟



قال (سعد) بحماسة :

ـ في الحال [illegible] ولكن قُل لي [illegible] ؟

قال (علاء) :

ـ طائرة سمتية عراقية

قال (سعد) :

تعني تلك الطائرة التي تشبه المروحة ؟

أجاب (علاء) :

ـ هي بعينِها .

قال (سعد) :

ـ [illegible] ؟

قال (علاء) :

ـ لقد سقطتْ على الأرض . أعني غَرَستْ مُقدَّمتَها في الأرض .

قال (سعد) بقلق شديد :

ـ وقائدُها ومساعدوه ؟

أجاب (علاء)

ـ لقد نَجَوا جميعاً .

قال (سعد) بارتياح :

ـ الحمد لله

قال (علاء) فجأةً :

ـ ولكنَّ هناك مشكلة الأعداءِ الَّذينَ يُحاولونَ إصابتَها بقذائفهم ..

قال سعد :

ـ الملاعينُ . وهل أصابوها فعلاً ؟

قال (علاء) :

لا ولكنْ أرى أحد الجنودِ العراقيين وهو يقفزُ على حادثة استُشهد سائقُها مدنيٌّ ويتَّجهُ نحو الطَّائرة .

قال (سعد) بحَيْرَة

ـ ثم ماذا ؟

ـ إنَّهُ يُحاولُ إحاطتَها بتلالٍ من الرِّمالِ ليحميها من القصفِ [illegible]

[illegible]

ـ [illegible] (هلال بن علقمة) [illegible]

ـ [illegible]

ـ قلتُ : (هلال بن علقمة) . أسرعُ فرساني . كُنَّا نُسمِّيهِ في الجيشِ بالرِّيح لشدَّةِ سرعتِهِ في القتال

قال (علاء) بحَيْرةٍ بالغة :

ـ المعذرة يا سيِّدي أُريدُ النُّزول .

وفي الحالِ نزلَ (علاء) من كَتِفِ القائد . وجلس على الأرضِ صامتاً وهو يُحاولُ أن يتذكَّر بعضَ ما يعرفُهُ عن المعركةِ الَّتي اشترك بها (سعد بن أبي وقَّاص) .

وعندما جلس الأخيرُ إلى جانبِهِ التفتَ إليه قائلاً :

هل [illegible] معركة [illegible] ؟

قال (سعد)

ـ هذا صحيحٌ [illegible]

قال (علاء) مندهشاً

ـ ألم تتعبوا ؟!!

قال (سعد) ضاحكاً .

هناك مقاتلون في جيشِكم قاتلوا عِدَّةَ شهورٍ ولم يتعبُوا أو يشعُرُوا بجوعٍ .

ـ وهلْ كنتَ هنا ؟

قال (سعد) وهو يمسحُ جبهتَهُ العريضة :

[illegible] مكانٍ آخر ؟!

بالتأكيدِ هنا . ومنذُ اللحظةِ الأولى . ولكنْ ليبقى الأمرُ سرّاً بيننا هل تَعِدُني يا (علاء) ؟

قال (علاء) وهو يرفعُ يدهُ على طريقةِ الكشَّافة :

ـ وعدُ كشَّافٍ يا سيدي .

قال (سعد) باسماً :

أحسنت يا (علاء) أحسنت .

وهنا مرَّتْ شاحنةٌ ملأى بالجنودِ . نظرَ سعدٌ إلى الشَّاحنةِ . وفكَّر (علاء) في نفسِهِ . ألا يُمكنُ أنْ يكونَ أبوه واحداً منهم ؟ [illegible]

والتفت (سعد) وقد رآهُ صامتاً ثم قال :

[illegible] ؟!!

قال (علاء) بحزن

[illegible]

قال (سعد) وهو يضربُ على كتفِ (علاء) [illegible]

ـ ولكنَّك ستجدهُ فاصبرْ قليلاً .

[illegible] شيئاً عندما مرقتْ شاحنةٌ عراقيّةٌ فجأةً توقف (سعد)

[illegible]

ـ [illegible] (علاء) [illegible]

[illegible]

[illegible] (سعد) [illegible] (علاء) [illegible]



[illegible] شاحنة الجنود أمام إشارة صارمة من جندي من [illegible]

[illegible]

وعندما مدّ سائقُ الشّاحنةِ رأسهُ مِنْ نافذةِ سيّارتهِ [illegible].

ـ لماذا أوقفتنا يا رفيق ؟

قالَ (سعد) وهو يُشيرُ إلى لحيةٍ مِن شَعرٍ [illegible]

ـ [illegible] لأفضل [illegible] في تلك [illegible].

[illegible]

نظرَ السّائقُ إلى الأمامِ وكأنّهُ لا يُصدّقُ ما يسمعُ ثمّ قال [illegible]

ـ أنتَ جادٌّ يا هذا ؟

هزّ (سعد) رأسَهُ مِن جديدٍ. ثمّ ابتعدَ قليلاً ليسمحَ للسّائقِ بالاستدارةِ والعودةِ [illegible] فرحة (سعد)

وبعد أن قطعت الشّاحنةُ [illegible] قال السّائقُ [illegible]

ـ ما رأيك في هذا الجُنديِّ هل رأيتَ جنديّاً بمثلِ هذهِ اللّحيةِ الكثّةِ مِنْ قبل ؟

وقال الثّاني بشكٍّ :

ـ لا أظنُّهُ مِنَ الجيش

قالَ السّائقُ وهو يُوقِفُ السّيّارةَ فجأةً :

ـ ماذا تعني ؟

أجابَ الثّاني بحزم :

ـ قلتُ لا أظنُّهُ من الجيش

قال الأوّل :

ـ تعني أنّهُ رجلٌ غيرُ حقيقيٍّ [illegible] !

قال الثّاني :

ـ [illegible] ولكنّ [illegible] من خطرٍ مميت

قال الأوّلُ والشّكُّ يملأُ فمهُ

ـ [illegible] لا أفهم

قال الثّاني [illegible]

ـ هذا أفضلُ. وإلّا أصبتَ بالجنون.

عِندما عادَ (سعد) إلى وضعِهِ السَّابِقِ . أخذَ يبحثُ عَنْ (علاء) في المكانِ الَّذي تركَهُ فيهِ ولكنَّهُ لمْ يجدْهُ . كما لم يجدْ درَّاجتَهُ الهوائيَّةَ فأخذَ يُتمتِمُ غاضِباً وهو يبحثُ بعينيهِ عن (علاء) .

ـ لقد قلتُ لهُ أنْ ينتظرَني هنا ! أينَ ذهبَ ؟

* * *

أحسَّ (علاء) بوحشةٍ عندما تركَهُ (سعد) وذهبَ خلفَ الشَّاحنةِ وقادَ درَّاجتَهُ مُخترِقاً أرضاً ملتهبة . وجحافلُ كبيرةٌ كانَتْ تنتقلُ مِن مكانٍ إلى آخرَ . وكانَ (علاء) لا يزالُ يأمُلُ في العثورِ على والدِهِ بأيِّ طريقةٍ .

في الوقتِ الَّذي كانَ فيهِ (سعد) يبحثُ عن (علاء) وهو يُتمتِمُ غاضباً :

ـ آه لو أعرِفُ أينَ اختفى هذا العفريتُ الصَّغيرُ ؟

وَلَمْ ينسَ (سعد) وهوَ يبحثُ عَنْ (علاء) أن يبحثَ عن قريبِهِ البلقاء . فهي



ولا شكَّ في مكانٍ ما خلفَ أحدِ التِّلالِ الرَّمليَّةِ .

وقالَ (سعد) وهوَ يقفُ على تلَّةٍ صغيرةٍ متهيِّئاً :

ـ لا أدري لماذا يختفي الجمع ؟

وكادَ يُتابعُ سيرَهُ باتجاهٍ آخرَ عندما سمعَ صوتَ جنديٍّ جريحٍ يئنُّ طالباً شربةَ ماء . أسرَعَ (سعد) إليهِ (بزمزمية) الماءِ . وقَرَّبَ فُوَّهتَها مِن فمِهِ وهو يقولُ بصوتٍ حنونٍ :

ـ إشربْ يا ولدي .

فتحَ الجريحُ عينيهِ بصعوبةٍ وقالَ مَدهوشاً :

ـ مَنْ أنتَ ؟

قالَ (سعد) وهو يُحاولُ أنْ يُقرِّبَ الفُوَّهةَ أكثر :

ـ إشربْ أوَّلاً .

أشاحَ الجنديُّ الجريحُ برأسِهِ مرَّةً أخرى وهو يقولُ :

ـ لا أُريدُ أن أشرب لا أُريدُ . قُلْ لِي أوَّلاً مَن أنتَ ؟ إنَّ وَجهَكَ ليسَ غريباً عليَّ .

واضطرَّ (سعد) إلى أنْ يكشِفَ حقيقتَهُ مُرغماً .

وقالَ الجريحُ وهو يجودُ بأنفاسِهِ الأخيرة :

ـ أأنتَ يا سيِّدي أأنت ؟!!

لقد بذلنا أفضلَ جُهدِنا هل أنت راضٍ ؟!

وجادَ الجريحُ بأنفاسِهِ الأخيرةِ . ودموعُ (سعد) تُطهِّرُهُ وتزكِّيهِ للخالقِ وهو يُردِّد بصوتٍ متشنِّجٍ :

ـ كلَّ الرِّضا يا ولدي . كلَّ الرِّضا قاتلتُم رجالاً ونعمَ الرِّجالُ ! بوركَ فيكم جميعاً .

وأخذَ (سعد) يتلو آياتٍ من القرآنِ الكريمِ . وصوتُهُ يتقطَّعُ بينَ حينٍ وآخر ...

كانَ (علاء) لا يزالُ في ذلكَ الوقتِ يأملُ في أن يجدَ أباهُ في مكانٍ في الدُّنيا العريضة . وهو لا يزالُ يُمسِكُ بدرّاجتِهِ الّتي كانتْ تُصدِرُ بينَ حينٍ وآخر أنغاماً موسيقيةً عذبةً تختلطُ مع ضجّةِ الجُنودِ المندفعينَ لملاقاةِ العدو . وفجأةً لمحَ (علاء) والدَهُ يحملُ مسدّساً ويلوّحُ بهِ لرفاقهِ الجنودِ وهو يدعُوهمْ إلى التّقدُّمِ لاحتلالِ مواقعِ العدُوّ . وصاحَ (علاء) بأعلى صوتِه :

ـ أبي أبي

لم يسمعْ والدُ (علاء) غيرَ نداءِ المعركةِ وأزيزِ الرّصاصِ وأصواتِ الانفجارات . وأراد (علاء) أنْ يُحذّرَ أباهُ من قذيفةٍ متّجهةٍ نحوهُ . ولكنّهُ لم يستطعْ أن يفعلَ شيئاً فقد كانَ غيرَ منظورٍ وغيرَ مسموعٍ ولا أملَ لهُ بأنْ يمنعَ شيئاً من الحدوثِ . وسقطَ الأبُ على الأرضِ يرويها بدمِهِ الزّكيّ . وأسرعَ (علاء) يحتضِنُ جسدَ والدِه .

فتحَ الأبُ عينيهِ بصعوبةٍ ونظرَ إلى وجهِ (علاء) . وقالَ الأبُ كلمةً واحدةً لم يستطعْ أنْ ينطقَ غيرَها .

ـ (علاء) .



قالَ (علاء) وهو يبكي :

ـ أبي .

وأغمضَ الأبُ عينيهِ إلى الأبدِ . وفي تلكَ اللّحظةِ صرخَ (علاء) صرخةً مرعبةً . وخُيّلَ إليهِ أنّ كلَّ شيءٍ في الكونِ توقّفَ عنِ الحركةِ وأصبحَ مركزُ الكونِ كلّهِ في هذهِ البُقعةِ من الأرضِ .

اقتربَ (سعد) . ورأى المشهدَ مؤثّراً من بعيد . ولكنّهُ لم يقتربْ أكثرَ . أشاحَ بوجهِهِ جانباً عندما رأى (علاء) يقتربُ منه . فقد كانَ يخشى أنْ يرى (علاء) ودموعَه .



وقالَ (علاء) بصوتٍ متشنّجٍ من أثرِ البُكاءِ :

ـ أنتَ تبكي أيضاً ؟

ولَمْ يُجبْ (سعد) .

وعادَ (علاء) يقولُ بنبرةٍ حزينةٍ :

ـ يجبُ أن لا تبكي أنتَ أبداً . إنّهم يريدون أنْ يروا دموعكَ فقط . إنَّ حزنَ القائدِ يُعادلُ حزنَ الجيشِ كلّه . والجيشُ كلُّهُ فدىً لكَ يا سيّدي . أتوسّلُ إليكَ أنْ لا تبكي . وأنْ تظلَّ شامخاً كالجبلِ يا سيّدي . قويّاً صُلباً مِثلَ هذه الأُمّة ..

وما هي إلاَّ لحظاتٌ حتَّى كانَ (سعد) يُطلِقُ صرخةَ الهُجومِ . وسُرعانَ ما شعرَ (علاء) بأنَّ الأرضَ تهتزُّ تحتَ قدَميهِ . وكانَتْ أصواتُ سنابكِ الخيلِ تختلطُ بشكلٍ متناغمٍ مع أصواتِ الدّبّاباتِ والمدرَّعاتِ الثَّقيلةِ وأقدامِ الجنودِ التي تدكُّ الأرضَ بصلابةٍ . ثم ارتفعَ غبارٌ ملأَ المكانَ ولم يعدْ (علاء) يتبيَّنُ شيئاً من الصُّورةِ . وكأنَّ أصواتَ المقاتلينَ وصلتْ إلى أُذُنِهِ فشعرَ برجفةٍ تسري في كيانِهِ الصَّغيرِ . لم سُرعانَ ما بدأَ يصعدُ على الأعالي . وامتلأتِ المسافاتُ من أمامِهِ وخلفِهِ بغُيومٍ بيضاء ناصعةٍ في الوقتِ الَّذي كانتْ فيهِ درَّاجتُهُ تُصدرُ أنغاماً موسيقيّةً عذبةً . وكانَ يغمرُهُ شعورٌ بالإطمئنانِ والرَّاحةِ لا حدودَ لهما .

واقتربَ (علاء) وأمسكَ برفقٍ بذراعِ القائدِ . ولم يتمالكِ القائدُ نفسَهُ فعانقَه بحرارةٍ . وهو يقولُ :

ـ علاء أنت ولدٌ شجاعٌ حقّاً . عليكَ أنْ تكونَ فخوراً بأبيكَ دائماً .

هزَّ (علاء) رأسَهُ وهو يقولُ :

إطمئنَّ يا سيدي . والآنَ يجبُ أن أذهبَ .

أمسكَ (علاء) بدرَّاجتِهِ . ثم صَعِدَ على مقعدِها . وانطلقَ بهدوءٍ وبينما كانتِ الدرَّاجةُ تُصدِرُ أنغامَها الموسيقيَّةَ العذبةَ كانَ (علاء) يبتعدُ شيئاً فشيئاً . وعندما حانتْ منهُ التفاتةٌ إلى الخلفِ رأى القائدَ (سعد) على فرسِهِ البلقاءِ وهو يلوِّحُ بسيفِهِ . ثمَّ رأى (علاء) والدَهُ على فرسٍ أُخرى يقفُ إلى جانبِ (سعد) وهو يلوِّحُ بعلمٍ طالما قبَّله . وكانَ خلفَهما يقفُ جمعٌ من المقاتلينَ بأسلحتِهِم الحقيقيَّةِ .



